وقوله (ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) استحضروا عند طلب الرحمة أحوج ما يكونون إليها وهو يوم تكون الرحمة سببا للفوز الأبدي فأعقبوا بذكر هذا اليوم دعاءهم على سبيل الإيجاز كأنهم قالوا : هب لنا من لدنك رحمة وخاصة يوم تجمع الناس كقول إبراهيم (ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) . على ما في تذكر يوم الجمع من المناسبة بعد ذكر أحوال الغواة والمهتدين والعلماء والراسخين .

ومعنى (لا ريب فيه) لا ريب فيه جديرا بالوقوع فالمراد نفي الريب في وقوعه . ونفوه على طريقة نفي الجنس لعدم الاعتداد بارتياب المرتابين هذا إذا جعلت (فيه) خبرا ولك أن تجعله صفة لريب وتجعل الخبر محذوفا على طريقة لا النافية للجنس فيكون التقدير : عندنا أو لنا .

وجملة (إن ا لا يخلف الميعاد) تعليل لنفي الريب أي لأن ا وعد بجمع الناس له فلا يخلف ذلك والمعنى : إن ا لا يخلف خبره والميعاد هنا اسم مكان .

(إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من ا شيئا وأولئك هم وقود النار [10] كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم ا بذنوبهم وا شديد العقاب [11]) استئناف كلام ناشئ عن حكاية ما دعا به المؤمنون : من دوام الهداية وسؤال الرحمة وانتظار الفوز يوم القيامة بذكر حال الكافرين في ذلك اليوم على عادة القرآن في إرداف البشارة بالنذارة . وتعقيب دعاء المؤمنين بذكر حال المشركين إيماء إلى أن دعوتهم استجيبت . والمراد بالذين كفروا : المشركون وهذا وصف غالب عليهم في اصطلاح القرآن وقيل : الذين كفروا بنبوة محمد A أريد هنا قريظة والنضير وأهل نجران ؛ ويرجح هذا بأنهم ذكروا بحال فرعون دون حال عاد وثمود فأن اليهود والنصارى أعلق بأخبار فرعون . كما أن العرب أعلق بأخبار عاد وثمود وأن الرد على النصارى من أهم أغراض هذه السورة . ويجوز أن يكون المراد جميع الكافرين : من المشركين وأهل الكتابين ويكون التذكير بفرعون لأن وعيد اليهود في هذه الآية أهم .

ومعنى (تغني) تجزي وتكفي وتدفع وهو فعل قاصر يتعدى إلى المفعول بعن نحو (ما أغنى عني ماليه) .

ولدلالة هذا الفعل على الإجزاء والدفع كان مؤذنا بأن هنالك شيئا يدفع ضره وتكفى كلفته فلذلك قد يذكرون مع هذا الفعل متعلقا ثانيا ويعدون الفعل إليه بحرف (من) كما في هذه الآية فتكون (من) للبدل والعوض على ما ذهب إليه في الكشاف وجعل ابن عطية (من)

للابتداء .

وقوله (من ا) أي من أمر يضاف إلى ا ؛ لأن تعليق هذا الفعل تعليقا ثانيا باسم ذات لا يقصد منه إلا أخص حال اشتهرت به أو في الغرض المسوق له الكلام فيقدر معنى اسم مضاف إلى اسم الجلالة . والتقدير هنا من رحمة ا أو من طاعته إذا كانت (من) للبدل وكذا قدره في الكشاف ونظره بقوله تعالى (وإن الظن لا يغني من الحق شيئا) . وعلى جعل (من) للابتداء كما قال ابن عطية تقدر من غضب ا أو من عذابه أي غناء مبتدئا من ذلك : على حد قولهم : نجاه من كذا أي فصله منه ولا يلزم أن تكون (من) مع هذا الفعل إذا عدي بعن مماثلة لمن الواقعة بعد هذا الفعل الذي لم يعد بعن لإمكان اختلاف معنى التعلق باختلاف مساق الكلام . والغالب أن يأتوا بعد فعل أغنى بلفظ (شيء) مع ذكر المتعلقين كما في الآية وبدون ذكر متعلقين كما في قول أبي سفيان يوم أسلم : (لقد علمت أن لو كان معه إله غيره لقد أغنى عني شيئا) .

وانتصب قوله (شيئا) على النيابة عن المفعول المطلق أي شيئا من الغناء . وتنكيره للتحقير أي غناء ضعيفا بله الغناء لهم ولا يجوز أن يكون مفعول به لعدم استقامة معنى الفعل في التعدي .

وقد ظهر بهذا كيفية تصرف هذا الفعل التصرف العجيب في كلامهم وانفتح لك ما انغلق من عبارة الكشاف وما دونها في معنى هذا التركيب .

A E